التقارير

جيتانجالي شري.. أول روائية هندية تفوز بجائزة البوكر الدولية

شيرين ماهر
الهيئة العامة للاستعلامات

الملخص

تحتل الآداب الهندية مكانة بارزة بين الآداب العالمية ويتسم معظمها بأنها آداب مرتبطة بالشعب الهندي، وهو سبب أصالتها الذي لا يزال ماثلاً في الشخصية القومية الهندية، كما تتميز الحياة الأدبية في الهند بأنها حياة ثرية وشديدة التنوع عن أي حضارة أخرى، حيث أدت طبيعة الهند مترامية الأطراف، التي تعددت فيها الديانات والعقائد واللغات، والطبيعة الجغرافية المتباينة إلى خلق أدب ذو طبيعة خاصة، كما تعتبر العلاقة بين الهند والآداب العربية ذات طابع متميز، فقد أسهمت في تطورها معطيات تاريخية وحضارية واجتماعية وثقافية عديدة. ويعد فن القصة والرواية أحد أهم صنوف الكتابة رواجًا في الآداب الهندية، إذ اتسمت بالمسحة الروحانية التي هيمنت عليها الثقافة الهندية. وخلال القرن العشرين مرت القصة القصيرة الهندية بأطوار عديدة، حيث برزت كأكثر الأجناس الأدبية شعبية، إذ استطاعت أن توثق الخبرات الواسعة التي اكتسبها المجتمع الهندي. وللمرة الأولى في تاريخ جائزة البوكر العالمية، فازت الكاتبة الهندية «جيتانجالي شري» بجائزة البوكر الدولية للرواية المترجمة لعام 2022، عن روايتها «ضريح الرمال». وهي أول رواية مترجمة من جنوب آسيا تتنزع الجائزة. والكتاب نموذج لـ «عمل أدبي ثري ومزدهر باللغة الهندية ولغات جنوب آسيا الأخرى. والرواية تستعرض جروحاً مازالت نازفة داخل الشعب الهندي، وقد تُرجمت أعمال «شري» إلى العديد من اللغات: الإنجليزية والفرنسية والألمانية والصربية والكورية.

Absract :

Indian literature occupies a prominent position among world literatures, and most of it is characterized by being literatures associated with the Indian people, which is the reason for its authenticity that is still present in the Indian national character. Literary life in India is also characterized by being rich and highly diverse compared to any other civilization, as the vast nature of India, with its multiple religions, beliefs and languages, and the diverse geographical nature, led to the creation of a literature of a special nature, The relationship between India and Arabic literature is also considered to be of a distinctive nature, as many historical, civilizational, social and cultural factors contributed to its development. The art of story and novel is one of the most popular types of writing in Indian literature, as it is characterized by the spiritual touch that Indian culture dominated. During the twentieth century, the Indian short story went through many stages, as it emerged as the most popular literary genre, as it was able to document the vast experiences acquired by Indian society. For the first time in the history of the International Booker Prize, Indian author Gitanjali Shree has won the 2022 International Booker Prize for Translated Fiction for her novel, The Tomb of Sands. She is the first translated novel from South Asia to win the award. The book is an example of »a rich and flourishing literary work in Hindi and other South Asian languages. The novel addresses unhealed wounds that remain in the psyche of the Indian people.» Shree's works have been translated into English, French, German, Serbian and Korean.

مقدمة :

تحتل الآداب الهندية مكانة بارزة بين الآداب العالمية، وكان لكل مرحلة من مراحل تاريخها الطويل طابع مميز، وسمات عامة تسيطر عليها، إلا أن الآداب الهندية التي أنتجها أبناء شبه القارة في العصر الحديث، يتسم معظمها بأنها آداب مرتبطة بالشعب الهندي، وتسعى إلى توحيده والنهوض به، وهذا سبب أصالتها الذي لا يزال حاضرًا في الشخصية القومية الهندية. ويعد فن القصة والرواية أحد أهم صنوف الكتابة رواجًا في الآداب الهندية، والذي اتسم بالمسحة الروحانية التي هيمنت عليها الثقافة الهندية. وخلال القرن العشرين مرت القصة القصيرة الهندية بتطورات عديدة؛ وكانت بمنزلة أكثر الأجناس الأدبية شعبية، إذ استطاعت أن توثق الخبرات الواسعة التي اكتسبها المجتمع الهندي. وللمرة الأولى في تاريخ جائزة البوكر العالمية، فازت الكاتبة الهندية »جيتانجالي شري» بجائزة البوكر الدولية للرواية المترجمة لعام 2022، عن روايتها »ضريح الرمال» التي ترجمتها من اللغة الهندية إلى اللغة الإنجليزية »ديزي روكويل». وهي أول رواية مترجمة من جنوب آسيا تنتزع الجائزة. وتقع في أكثر من 600 صفحة، والأمر الذي أكسب »شري» تفردها الأدبي وميزها عن غيرها من أدباء الهند استخدامها اللغة الهندية في كتابة أعمالها، رغم تمكُنها من اللغة الإنجليزية بوصفها لغة مفهومة ومقروءة في الهند على نطاق واسع، ورواية »ضريح الرمال» نموذج لـ »عمل أدبي غني ومزدهر باللغة الهندية ولغات جنوب آسيا الأخرى. وقد تُرجمت أعمال »شري» إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية والصربية والكورية.

ومن ثم سيتم تناول الأدب الهندي ومراحل تطوره وعلاقته التبادلية بالأدب العربي، ومسيرة »جيتانجالي شري» الأدبية، وإضاءات حول روايتها »ضريح الرمال» الفائزة بجائزة البوكر الدولية لعام 2022.

سمات الأدب الهندي

إن الحياة الأدبية في الهند حياة ثرية شديدة التنوع بالمقارنة مع أي حضارة أخرى، حيث أدت طبيعة الهند مترامية الأطراف، التي تعددت فيها الديانات والعقائد واللغات، والطبيعة الجغرافية المتباينة إلى إفراز أدب ذي طبيعة خاصة. ويعود تاريخ الأدب الهندي إلى ما قبل 3000 عام. ويشمل الأعمال الكلاسيكية الدينية الهندوسية

والبوذية واليابانية والسيخية وأدب بلاط ملوك الهند والشعر الشفاهي التقليدي والأغاني والشعر والنثر الحديث الذي يُعبر عن الأفكار المُعاصرة. وكان الإلقاء هو وسيلة وطريقة تناقُل الأدب في عصور سابقة نَدُرت فيه القراءة والكتابة بين الطبقات الدُنيا في الهند.

كانت النصوص الأدبية القديمة، والقصص المُستقاة من الأديان المختلفة طويلة، بل كانت تُحفَظ عن ظهر قلب، وتُنقَل شفهيًا عبر الأجيال المختلفة، الأمر الذي خلق حراكًا أدبيًا متواصلاً على مدى العصور والأجيال، مما جعل هناك تراكماً كبيراً في الأدب بأنواعه وأجناسه التي كانت سائدة، كما كانت هناك ذائقة جمالية جعلت الانتقال من مرحلة إبداعية إلى أخرى غاية في السلاسة، وقد عبر الأدب الهندي كل تلك المراحل إلى أن حط رحاله في عصر الشعر والنثر الحديث والقصة والرواية وجميع الأشكال الإبداعية المعبرة عن الحياة المعاصرة، والتي تفجرت وتنوعت وتعددت، ولكن كان لها أساس متين في التراث والتاريخ القديم، فكانت تلك الأنماط الأدبية الحديثة امتداداً لما عرفته الهند من أدب وإبداع طوال تاريخها، وتلك المعاصرة التي وصل إليها الأدب الهندي الحديث.

وهناك ثلاث مراحل مهمة في تاريخ الهند، مثل: الفترة «السنسكريتية»، و«البوذية»، و«الجانية»، وقد امتدت حتى القرن الحادي عشر الميلادي، ثم كان المنعطف الكبير مع أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وخلالها تطوّرت اللغات الإقليمية، فكانت المرحلة الحديثة، والتي شهدت تطوراً كبيراً في اتجاهات النثر والشعر الحديث والسرد.

كذلك ارتبط الأدب الهندي منذ بداياته بالفلسفة، والحكمة والدين، فقد تشكلت البدايات في حاضنة «الفيدا»، والتي تعني المعرفة، وهي في الأساس سلسلة من النصوص المقدسة لدى الهنود، تستعمل عند ممارسة الطقوس وتقديم القرابين، وكانت تلك النصوص نثرية في طبيعتها، وتهتم بمسألة التأمل في العلاقة بين الإنسان والكون، وتطرح الأسئلة في سياق روحي جمالي إلى أن ظهر الشعر الملحمي. كما تمضي رحلة الأدب في الهند من الماضي والحاضر، وكأنها كرة ثلج تتدحرج، فهو أدب يتأثر بالجديد ولا ينغلق على ذلك التراث رغم عظمته الأدبية، والذي أنتج ثقافة مجيدة في بلاد الهند، ففي كل مرحلة ومنعطف يمر به؛ فإن الأدب الهندي يتغذى

بتفاصيل إبداعية جديدة، فالهنود قد دخلوا مرحلة الحداثة الشعرية وهم يستندون إلى ذلك التراث.

ومنذ مطلع القرن التاسع عشر، تأثروا تحديداً بالأدب البريطاني، والذي كان بوابة الهنود نحو الأدب الغربي. وكانت هناك حركة ترجمة نشطة للأدب الإنجليزي لمختلف لغات الهند، ومن هنا تحديداً بدأت حكاية الهنود مع النثر الذي انتشر، بشكل واسع، وباللغات المحلية، وسادت الرواية والقصة الطويلة والقصيرة في تلك المرحلة، وهي أجناس لم تكن معروفة بشكلها الحديث، وقد ساد عدد من التيارات الهندية في الأدب في تلك المرحلة، توزعت بين مجموعة حولت التعلق بالتراث إلى شكل من أشكال عاطفة الحنين إلى الماضي وحافظت على ما هو قيم في ذلك التراث القديم، ومجموعة أخرى مالت نحو الأدب الصوفي والذي جاء كمعادل للمزاج الرومانسي الذي ساد في أوروبا، ثم جاء التيار الإنساني والذي نهل من معين المهاتما غاندي الذي خلق معادلة الالتزام الاجتماعي العصري والأخلاقيات التقليدية، وقد سرت تلك الأفكار التي غرسها المهاتما بعمق في الهند في الفترة التي قادت إلى استقلالها عام 1947. ويعكس أدب النصف الأول من القرن العشرين هذا الأثر بصورة واضحة، فقد كان غاندي منتمياً للموروث الثقافي الهندي القديم، غير أنه لم يكن منغلقًا، فقد عرف أن الكثير من مناحي الحياة في بلاده في حاجة إلى الإصلاح، فكان أن لجأ إلى المزاوجة بين القديم والجديد، فصار هناك ما يُعرف بالواقعية الاجتماعية، وهي التيار الأقوى ضمن منظومات ومدارس الأدب الهندي.

ووسط هذا الطيف الأدبي والثقافي الذي تموج به الهند ويميز آدابها، كان للأدب الإسلامي وجوده وخصوصيته، حيث إن الكثير من السلالات الإسلامية قد حكمت الهند، وكان ذلك مع بداية مجيء المسلمين إليها في القرن الثامن من الميلاد، وكانوا في معظمهم يتحدثون الفارسية والتركية، وظهر شعراء البلاط، حيث كانوا يلقون القصائد في أغراض الشعر المتعددة مثل المدح والغزل، بالتالي فإن التأثير الإسلامي في الأدب وبقية الفنون على الهند كان كبيرًا، وهذه العملية زادت من ثراء الثقافة الهندية، التي تقدم اليوم أجيالاً من الأدباء المميزين في شتى مجالات الإبداع الأدبي، وبصورة خاصة في مجال الرواية.

الأدب الهندي وعلاقته بالآداب العربية

تعتبر العلاقة بين الهند والآداب العربية ذات طابع متميز، فقد أسهمت في تطورها معطيات تاريخية وحضارية واجتماعية وثقافية. ومن الزمن القديم انطوت هاتان الحضارتان على روابط مستمرة مع تبادل الآراء والأشخاص والثقافة. وبلغت العلاقات بين الهند والعالم العربي مسارًا متميزًا مع حركة الشعوب من الهند إلى العالم العربي وبالعكس في شكل الزيارات وهجرة الأيدي العاملة. فإن العلاقات بين الجانبين تعود إلى قرون قبل ظهور الإسلام. وكان الهنود يرحلون إلى العالم العربي ويشاركون حياة العرب اليومية، واختلطوا معهم حتى تأثروا بحياتهم وأثروا فيها بجميع نواحيها الفكرية والاجتماعية واللغوية. وهذه الزيارات ساهمت في التقارب الديني نظرًا للمشتركات بين العقيدة الهندوسية والعقائد الموجودة في غرب آسيا آنذاك. وبعد أن كان العرب قد تعرفوا منذ العصر الجاهلي على بعض المفردات الهندية واستخدموها في لغتهم وما كانوا ينظمونه من أشعارهم، اتخذ هذا التبادل الثقافي واللغوي منعطفًا تاريخيًا بوصول الإسلام إلى شبه القارة الهندية، حتى أصبحت اللغة العربية مكوّنًا بارزًا من المكوّنات الرئيسة للثقافة الهندية، بشكل عام. وعلى مدى أكثر من عشرة قرون من الزمن، ورغم تبدل العهود السياسية من عصر السلطنات وحتى استقلال الهند في القرن العشرين، مرورًا بإمبراطورية المغول وفترة الاستعمار البريطاني، كانت العلوم الدينية الوعاء الذي حفظ اللغة العربية بوصفها لغة القرآن الكريم. غير أن حضور اللغة العربية في الهند بدأ يأخذ في السنوات الأخيرة منعطفًا جديدًا، يتمثل في ازدياد الاهتمام بدراستها حتى خارج العلوم الدينية، وصولًا إلى استخدامها في الأدب الهندي المعاصر.

ولعل أهم الميادين التي كان فيها تأثير التراث الهندي في الثقافة العربية واضحاً، هي الادب واللغة، حيث كان التأثير الهندي في هذا الميدان واسعاً، لقد كانت بلاد الهند غنية بتراثها وثقافتها منذ القدم، وأصبحت بذلك أحد عوامل التأثير في ثقافات الشعوب الأخرى وحضاراتهم قديمًا وحديثًا، واتضح هذا التأثير في أدب الرحلات والترجمة والقصائد العربية التي صدرت فيها مئات المجلدات عبر القرون، والتي تزخر بها المكتبات العربية والإسلامية. كما صارت هذه الابداعات كنوز علمية لعشاق

العلم وطلابه في كل القارات. ولا يزال هذا الاهتمام ينعكس في مناحي الدراسة والبحوث والتحقق.

ومن أشهر كتب الأدب الهندي التي نقلت إلى العربية: »كليلة ودمنة» و»السندباد الكبير» و»السندباد الصغير» و»أدب الهند والصين» و»الهند في قصة آدم عليه السلام»، وغيرها. وكان »كليلة ودمنة» في مقدمة ما ترجم إلى العربية، وهو من تأليف الفيلسوف الهندي بيدبا، وجلبه من الهند الحكيم الفارسي برزويه، وتُرجم إلى الفارسية للملك كسرى أنو شروان. وفي عهد الخليفة العباسي المنصور ترجمه ابن المقفع، من الفارسية إلى العربية. وهو يتألف من حكايات ساقها المؤلف على ألسنة الحيوانات. واستهدف منها تقديم نصائح أخلاقية وسياسية واجتماعية للحكّام والشعوب. وقد أحدث الكتاب دوياً كبيراً في الثقافة العربية، لما اشتمل عليه من قيمة أدبية وسياسية واجتماعية وأخلاقية. كما حظيت قصص »السندباد» بأهمية كبيرة في الأدب العربي. وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن قصص »السندباد» ليست أسطورية، وتدور أحداثها خارج حدود الزمان والمكان، وإنما هي واقعية جرت في عصر الرشيد، في الهند وأرخبيل الملايو. أما قصص »ألف ليلة وليلة»، فقد كشفت الدراسات النقدية أن هذه القصص هي حصيلة عناصر ثقافية هندية وفارسية وعربية ويونانية، حيث تفاعلت مع بعضها في هذه القصص وشكلت كلاً واحداً، والقصة المحورية فيها هندية الأصل. كما تأثرت العربية بالتراث اللغوي الهندي. وأشار الجاحظ إلى أن العرب كانوا على دراية بعلم البلاغة والبيان عند الهنود.

هناك أيضاً كتاب »سياحتي في بلاد الهند الإنجليزية وكشمير» وتعد هذه الرحلة من الرحلات الهامة والتي كتبها الأمير يوسف كمال المصري. وكان أميرًا ورحّالة جغرافيًا مصريًا من أسرة محمد علي باشا، وقد زار الهند عام 1914، أيام الحرب العالمية الأولى، ويسرد الأحداث والمشاهدات فيها بانتظام، وهي رحلة حافلة يصور فيها جمال الطبيعة الهندية والآثار التاريخية والأماكن السياحية، وبصفته ولوعًا في صيد الحيوانات يحتوي هذا الكتاب على وصف الصيد ومشاهدات القنص والحيوانات المختلفة التي شاهدها في الهند. كما وصف عادات الناس فيها وطقوسهم وتقاليدهم الغريبة، وما لفت انتباهه في مدينة بنارس المعابد الهندوسية المكتظة بالناس. وكتاب

»الهند كما رأيتها» من تأليف الأستاذ »فتح الله الأنطاكي»، صاحب جريدة العمران بمصر، وقد زار الهند في عام 1932 قادمًا من القاهرة عن طريق الشام وبغداد، ومرورًا بالبصرة وكراتشي، وأقام في الهند ثمانية أشهر، تجول خلالها في معظم الولايات الهندية واطلع على كتب عن أحوال الهند وآثارها وسجل انطباعاته في هذه الرحلة المسماة »الهند كما رأيتها». وقد مدح لُطف الهنود وحسن ضيافتهم، وهو في هذه الرحلة تعرف على عدد كبير من نوابغ الهند. وكان يرغب في لقاء »غاندي»، الزعيم الهندي، ولكنه كان مسجونًا ايام إقامته في الهند. وهو يرصد في هذه الرحلة التطور الكبير الذي نالته الهند في ميادين مختلفة. وكتاب »حول العالم في مائة يوم» من تأليف الكاتب المصري الصحفي د. أنيس منصور، الذي عمل مُحرراً في جريدة الأهرام، حيث زار الهند عام 1962 وخصص 145 صفحة لوصف الهند والهنود وسجل انطباعاته عن الهند، ويقول فيه: »هُم أناس طيبون جدًا، وفي غاية الهدوء وحبهم للسلام قائم على شعور عميق. وكراهية الهنود لإسالة الدماء تنبع من أعماق أديانهم». وقد زار كيرالا في جولته لأقطار الهند.

نشأة مهدت صعودها للعالمية

»جيتانجالي شري».. اسم يبدو وكأنه قد ظهر للتو، قبل فوزها بجائزة البوكر، إذ لم يكد يعرفها أو يسمع عنها أحد من الصحافيين قبيل إعلان فوزها بجائزة البوكر لعام 2022. رغم أن روايتها الفائزة »ضريح الرمال» هي العمل الخامس في مسيرتها الإبداعية وقد مارست الكتابة قبل فوزها بـ 30 عاماً. وعلى مدار ما يزيد عن نصف قرن، وتحديدًا منذ عام 1969، وهو تاريخ انطلاق جائزة البوكر العالمية وحتى اليوم، فاز بجائزة البوكر العالمية أكثر من كاتب هندي الأصل، يكتب باللغة الإنجليزية مباشرة، ولكن أصبحت الكاتبة الهندية جيتانجالي شرى، هي أول كاتبة هندية تفوز بجائزة البوكر الدولية، لكون روايتها مترجمة من لغتها الأم (الهندية) إلى اللغة الإنجليزية. والواقع لم تحاول »شري» أن تكتب إلا بلغتها الأم رغم تمكنها من اللغة الإنجليزية بوصفها لغة مفهومة ومقروءة في الهند، وعند سؤالها دائماً: لماذا تكتبين بلغتك الهندية، لا بالإنجليزية؟ ترد السؤال بسؤال عميق، قائلة: هل تسألون كاتباً فرنسياً أو ألمانياً أو يابانياً لماذا تكتب بلغتك؟ ولماذا لا تكتب بلغة الآخرين؟

وترى »شري» أنه عندما يتعلق الأمر بالكتابة، يختار الكاتب اللغة الأقرب له، وتقول عن ذلك: »اللغة في دمك وليس في رأسك. إنه نوع من الاتصال الحسي مع اللغة، إنها الرائحة والطعم والمشهد الذي يتشكل عن بعض الأشياء التي ترتبط بثقافتك. وحين تعبر عنها بالطبع ستختار وبشكل تلقائي اللغة التي من خلالها تعرفت وارتبطت بهذه الأشياء». وترى شري أنه لا مشكلة أن تكون ثنائي اللغة أو متعدد اللغات، وترى أن هذا الأمر يعود لقدرة بعض الناس على معرفة وإتقان أكثر من لغة

ولدت »شري»، في عام 1957 في مدينة »ماينبوري» في ولاية »أوتار براديش» في شمال الهند وتعيش حالياً في »نيودلهي». واختارت أن يكون اسمها الثاني هو اسم والدتها الأول (شري). نشأت وهي تتحدث اللغتين الإنجليزية والهندية. ولأن والدها، أنيرود باندي، كان موظفًا حكوميًا، عاشت عائلتها في مدن مختلفة في »أوتار براديش». تقول »شري» إن نشأتها في »أوتار براديش»، إلى جانب نقص كتب الأطفال باللغة الإنجليزية، أعطتها ارتباطًا ثريًا باللغة الهندية.

تلقت »شري» تعليمها المبكر في المدارس المحلية الإنجليزية. وخلال نشأتها كان ارتباطها باللغة والأدب الهندي من خلال والدتها التي تتحدث الهندية فقط، لذلك كان هذا الارتباط ارتباطاً خاصاً وشخصياً للغاية. وفي طفولتها كانت تقرأ المجلات الهندية مثل »تشاندامامًا» و»باراغ» و»ناندان»، وكذلك الحكايات الهندية الشعبية من »رامايان» و»ماهابارت» والليالي العربية. ربما يعود سبب قراءتها للأعمال المكتوبة باللغة الهندية إلى قلة كتب الأطفال المتوافرة باللغة الإنجليزية في تلك الفترة الزمنية. ولكن الأمر كان في صالحها، حيث تعلمت الكثير عن الثقافة الهندية، كما أن الخدم في المنزل كانوا يسردون لها الكثير من القصص المحلية والشعبية والخرافات باللهجات الهندية، كل هذا شكل لها رافداً ثقافياً قوياً إلى جانب اللغة الهندية.

في الجامعة، درست »شري» التاريخ الهندي الحديث. وأكملت درجة البكالوريوس في كلية »ليدي شري رام»، وحصلت على درجة الماجستير من جامعة »جواهر لال نهرو» في نيودلهي. بعد أن بدأت عملها في الدكتوراه في جامعة »ماهاراجا سایاجیراو» في »بارودا» والتي خصصتها عن الكاتب الهندي »مونشي بريم تشاند»، أصبحت »شري» أكثر اهتمامًا بالأدب الهندي. ومع نيلها درجة الدكتوراه تركت الكتابة الأكاديمية

واتجهت إلى الكتابة الإبداعية، واستغرقت في طرح قضايا جمالية بأسرارها الخبيئة، وظلالها الشاسعة، بدلاً من الكتابة في الشأن البحثي.

كتبت أول قصة قصيرة لها أثناء حصولها على الدكتوراه. ونُشرت قصتها الأولى «بيل باترا» (1987) في المجلة الأدبية هانز، وتبعتها مجموعة قصصية بعنوان أنوجونج (1991). وقامت بعد ذلك بتأليف عدد من القصص القصيرة وخمس روايات، ورُشِحَت روايتها «ماي» لعام 2000 إلى القائمة القصيرة لجائزة كتاب الكلمات المتقاطعة عام 2001 وكانت سببًا في شهرتها. وتدور أحداث الرواية حول ثلاثة أجيال من النساء والرجال من حولهن، في عائلة من الطبقة المتوسطة في شمال الهند. تُرجمت «ماي» إلى عدة لغات، بما في ذلك الصربية والكورية. كما تُرجمت إلى الإنجليزية بواسطة «نيتا كومار»، التي حصلت على جائزة أكاديمية ساهيتيا للترجمة، وإلى الأردية بواسطة «بشير أونوان». تدور أحداث روايتها الثانية «هامارا شاهار أوس باراس» في أعقاب هدم مسجد بابري. ألفت شري روايتها «ضريح الرمال» في الأصل باللغة الهندية باسم «ريت سامادهي»، ثم تُرجِمَت إلى الإنجليزية بواسطة «ديزي روكويل».

«ضريح الرمال».. براعة السرد

«الأمر لا يتعلق بي كفرد. فأنا أمثل لغة وثقافة، وهذا التقدير يسلط الضوء على عالم الأدب الهندي تحديداً والأدب الأسيوي ككل»...» هكذا أجابت «شري» عندما سُئلت لماذا فضلت أن تكتب روايتها الفائزة باللغة الهندية وليست باللغة الإنجليزية.. ولعل اجابتها تعكس جزءً كبيراً من إرادتها الواعية ككاتبة أرادت إيصال صوت شعبها ولغته الأم إلى العالم. والواقع إن روايتها بمنزلة رواية مضيئة عن الهند تتسم بحيوية ساحرة وتعاطف شديد ينسج جدائل الشباب مع خيوط الشيخوخة، ويتخذ من الأسرة والأمة نواة للأحداث في كيان متكامل متعدد الأشكال يصنع بعض الإحالات ويخلق بعض الإسقاطات عن الواقع الحياتي للشعب الهندي.

لقد حازت رواية «ضريح الرمال» على إشادة واسعة بفضل تعدد الأصوات السردية المبهجة التي تستكشف قضايا حاسمة تتعلق بالحزن والهوية والانتماء، ولكن جرى تناولها بروح الدعابة والفكاهة، رغم اتسامها بالقوة الإنسانية والصخب الشعوري. إنها رواية ذات طابع ملحمي؛ وتمثل إضافة كبرى ليس فقط إلى أدب الهند وقضية

تقسيمها، بل إنها تتحدث إلى القراء في جميع أنحاء العالم عن مفهوم الخسارة والحب والمنفى والعودة إلى الوطن، والحدود التي تفرض القيود وتضع الحواجز، والفروق في الشخصية والسياسية والجغرافية، وكيف يمكن التغلب عليها. مثل هذه الطريقة الرائعة التي استخدمتها الكاتبة لفهم التعقيدات النفسية للتقسيم كانت شديدة السلاسة للتعريف بتفاصيل تلك الفترة التاريخية. وعلى الرغم من أن الرواية عمل ليس واقعي من نسج خيال الكاتبة، لكنها تنطوي على أشياء ذات صلة بالقضايا التي نعيشها في عالمنا الحالي.

لقد اخترقت رواية »ضريح الرمال» الحدود مسافرة إلى جغرافيات العالم المتمايزة في ثقافاتها ولغاتها وأديانها ومذاهبها المتعددة، وعلى الرغم من فكرتها المروية عن الحدود بين الأديانٍ والحدود بين الدول، إلا أنه لم يكن ثمة ما يصد تلك الحدود بمعناه الشاسع سرداً، وحتى بوصفها (قضية) أممية مشتركة ومختلفة تعني الجميع، لتفوز الرواية بجائزة البوكر العالمية بعد ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية.

حيث تدور أحداث الرواية حول رحلة امرأة تبلغ من العمر 80 عامًا تدعى »ما»، والتي يكتنف الحزن عالمها بعد وفاة زوجها. تتناول أحداث الرواية الروح الإنسانية المعذبة على الحدود بين الدول والشعوب والأديان، حيث اندفعت بطلة الرواية إلى إعادة تقييم خياراتها بعد وفاة زوجها. وبمرور الوقت، تجد طريقها مرة أخرى إلى الحياة، وتتخلص من التقاليد وتختار مواجهة أشباح ماضيها خلال حقبة »صدمة تقسيم» شبه القارة الهندية، في محاولة لتقييم الأدوار العديدة التي لعبتها خلال حياتها. وبعد أن عاشت معظم حياتها وفقًا للشروط التي يُمليها عليها الآخرون، تشرع »ما» في خوض رحلة مؤثرة إلى باكستان. إنها رواية غامرة تتعمق في تعقيدات العلاقات الإنسانية والتأثير المتبقي للماضي على الحاضر. كما تتحدث عن الحدود التي يفرضها المجتمع علينا، ونحن أنفسنا اعتدنا على العيش ضمن حدودنا لدرجة أننا لم نشكك فيها. اعتدنا على هذه الحدود والتقسيمات بناءً على عوامل غير ذات صلة.

تتأرجح لغة »شري» بين الهزل والنقد اللاذع. بالإضافة إلى أن أسلوبها يعتمد، بشكل كبير، على تعدد الأصوات السردية؛ ما يكسب النص عمقاً وقوة وأصداء تعطي زخمًا للعمل. وفي أحد الأجزاء، تستعين الكاتبة بأسلوب التكرار المتواصل للتأكيد على

أفكار بعينها. ويأخذنا الثلث الأخير من الرواية إلى الحدود بين الهند وباكستان. وتتبع قصة »ضريح الرمال« سلسلة طويلة من أدب التقسيم، ورغم أن الأرض انقسمت إلى نصفين عند استقلال الهند عن بريطانيا في عام 1947، فإن تاريخ الحدث لا يزال غير معروف للكثير من القراء الناطقين باللغة الإنجليزية في الغرب. فقد نزح عشرات الملايين من الناس، وأجبروا على التخلي عن منازلهم وأسرهم وذكرياتهم. وتعبر بطلتا الرواية »ما« و»بيتي« الحدود إلى باكستان، وفي النهاية تشق »ما« طريقها إلى »خيبر بختونخوا«، بحثًا عن زوجها السابق، وظاهريًا، عن جزء من نفسها الذي سلبته عمليات فرض الحدود. وعلى الرغم من أسلوب »شري« الخفيف الذي يتسم بروح الدعابة والمرح، إلا أن النص اقترب من جروح لا تزال نازفة داخل وجدان الشعب الهندي.

وربما العبارة الجديرة بالتوقف التي رددتها »شري« في أغلب اللقاءات التي أجريت معها عقب فوز روايتها بجائزة »البوكر«: »ثقافة الهند بحاجة إلى الاكتشاف«.. والواقع ليس هناك ما هو أجدر من اللغة لكشف عالم الثقافة والأدب، وهي الخطوة التي تُحسَب لـ »شري« على طريق التعريف بثقافة وآداب بلادها.